الجزء الرابع عشر   المجلد الاول

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

ا اذار (١٦ شباط) سنة ١٩٠٩

الذاكرة

(١)

هي قوة في الدماغ نذكر بها ما ندركهُ من المعاني والصور ونحفظهُ في الحال ونحضر ما أدركناهُ في الماضي وتُسمَّى ايضاً بالحافظة· وهذه القوَّة متفاوتة في الناس كتفاوتهم في كل قوَّة ولكنها ليست دليلاً عَلَى تفاوتهم في الارتقاء العقلي· فقد يكون الشخص عالمًا كبيراً وذاكرتهُ ضعيفة جداً· والناس باعتبار حفظ المدركات وبقائها عند اذهانهم زمناً طويلاً اوقصيراً ومقدرتهم عَلَى احضارها في اي وقت شاءوا او قصورهم عن ذلك

درجات . ولكن اقواهم ذاكرةً من اذا حفظ المدرَك سريعاً وأبقاهُ عند ذهنه طويلاً وكان قادراً على احضاره في اي وقت اراد بسرعة وسهولة . وهذا الاختلاف غريزيٌّ في الناس وقد يكون بعضه ناجماً عن التربية والتمرين . فلقد كان كثيرون من مشاهير الرجال ضعافَ الذاكرة جداً وكان غيرهم ممن تفرَّدوا بمضاء ذاكرتهم وغرابتها ضِعافَ سائر القوى العقليَّة الأُخر بحيث لم تساعدهم تلك القوة (اي الذاكرة) على الترقي في درجات العلم والمعارف . فهذا فرادي اكبر مشاهير علم الطبيعيات وكذلك العلاَّمة ليسِّنغ وغيلمغولس الشهير كانوا يشكون ضعف ذاكرتهم . غير ان جمهوراً غفيراً من المشاهير كانت لهم ذاكرة قوية جداً

فمنهم سنيكا الفيلسوف الروماني الشهير . كان اذا ذُكر امامه نحو الفي كلمة حفظها للحال وسردها على نسق ما سمعها . وكان ينشد الفي بيت من الشعر مرةً واحدة

وغاسّندي كان مستظهراً الزهاء ستة آلاف بيت من الشعر اللاتيني ومنظومة لوكريسي الكبيرة المعنونة (De rerum natura) ورغبةً في تمرين ذاكرته كان ينشد منها كل يوم نحو ستمئة بيت بلغات مختلفة

والعلاَّمة ماكولي والشاعر بوب الشهير كان لكلٍ منهما ذاكرة غريبة . وكان الاخير منهما يستشهد عن ظهر قلبه من الكتب

الكثيرة التي قرأها في زمانه مشيراً الى اكثر صفحات كل كتاب ذاكراً ما اعجبهُ في كل صفحة

ويوسف سكالكر البندقي المشهور بالتاريخ واللغات حفظ في واحد وعشرين يوماً اشعار هوميروس (الالياذة واوذسّي وفيهما نحو ستين الف بيت)

ونيبور الرحّالة المؤرّخ . كان في صباه متوظفاً في بلاد الدانمرك فاتفق ان تلف جانب كبير من دفتر الحساب وفقد ما كان مقيداً فيه . فأخذه نيبور ونقل كل ما تلف منه عن لوح ذاكرته

وكريتُن الاسكتلندي . كانت لهُ ذاكرة غريبة جداً وقد فاق جميع اقرانه في سائر الفنون والعلوم حتى لُقب بالعجيب . ولما بلغ العشرين من عمره جاء باريس ودخل ندوة العلوم فيها وناظر العلماء في اثنتي عشرة لغة نثراً ونظماً وفاق عليهم جميعاً

وابو العلاء المعرّي كان موصوفاً بجودة الذاكرة . قيل انه كان يوماً عند رجل يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرَّةً من المال ثم جاء يطلبها بعد سنة فأنكرها فرافعهُ الى القاضي . ولم يكن شاهداً على ذلك الاَّ ابو العلاء فاستدعاه القاضي وسأله فقال اني رجل أعمى لم أُبصر ما كان بينهما بيداني سمعت من كليهما كلاماً بالعبرانية أذكر لفظه ولا أفقه معناه . فدعا القاضي يهودياً لا علم لهُ بهذه القصة فأعاد عليه ابو العلاء ذلك الكلام فاذا هو يفيد صحة الدعوى . وقيل انه

جرى حساب طويل بين رجلين في مكان يشرف عليه ابو العلاء من غرفته واتفق ان فقدت اوراق الحساب بعد ايام فأملاها عليهما. ثم وجدت الاوراق فكانت طبق املائه

وحمّاد الراوية كان اعلم الناس بايام العرب واخبارها واشعارها ولغاتها. قيل ان الوليد بن يزيد الاموي قال لهُ يوماً كم تحفظ من الشعر فقال اني انشدك عَلَى كل حرف من حروف الهجاء مئة قصيدة كبيرة سوى المقاطيع من شعراء الجاهلية فضلاً عن شعراء الاسلام. فامره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد فوكل به من يسمع له فأنشد الفين وتسعمئة قصيدة للجاهلية فامر له بمئة الف درهم

ومتريداطيس كان يعرف ثلاثاً وعشرين لغة ويخاطب كل قوم بلغتهم

ومكلبا بنشي الايطالي طالع اكثر كتب عصره وكان يستشهد منها عن ظهر قلبه ويذكر الصفحة والفصل وموضوعه واسم مؤلفه ويذكر الكلام المستشهد به بلفظه وتركيبه. وقيل ان احد اصحابه اعاره كتاباً ولما قرأه اعاده اليه وبعد مدة ادَّعى الصاحب انهُ فقده فكتبه لهُ مكلبا بنشي حرفاً حرفاً مع انهُ لم يطالعهُ سوى مرة واحدة

وقورش ملك الفرس كان يعرف اسماء افراد عسكره واحداً واحداً ويذكر كلاً منهم باسمه

وواشنطون لم ينسَ احداً ممن عرفهم

والدكتور جانسون كان يقرأ عن ظهر قلبه الكتاب الذي يؤلفهُ ولو بعد عشر سنين من تأليفه

وكذلك نرى الذاكرة القوية في جمٍ غفير من بسطاء الناس وعامّتهم . فقد ذكر العلامة كاربنتر في كتابه المعنون « فسيولوجية العقل » ان واحداً من المحامين في لندن لم يكن يتذكر قطعة من احدى المقالات والنبذ التي قرأها في زمانه حتى يكرّر المقالة برمتها كلمةً كلمةً . وكان احد الممثلين في فرنسا واسمهُ ليون اذا قرأ جريدة كرَّرها كلها بدون غلط

ويُروى عن فولتير الفرنساوي انهُ نظم قصيدة طويلة وانشدها فريدريك الكبير ملك بروسيا . فقال له الملك هذه ليست لك بل انت منتحلها لاني سمعتها قبل الان . فتعجب فولتير وقال لا يمكن ان يكون هذا بل انا اول من نظمها . قال الملك وانا مستعد ان اثبت صدق قولي بالامتحان . ثم استدعى رجلاً وامره بالانشاد فانشده القصيدة بيتاً بيتاً حتى كاد يجن . غير ان الملك اطلعه في الحال على حقيقة الواقع بقوله — اني خبأت هذا الرجل وراء حجاب ليسمع قصيدتك ولا تراه وقد حفظها من اول مرة كما رأيت

اللص

عزم رتشارد جونس بن الملقب بين معارفه « بالوسخ » عَلَى ممارسة حرفة جديدة يرتزق منها . وكان في الثلاث سنوات الاخيرة يحصل خمره اليومية من صناعة دهن الشبابيك والابواب في بيوت الفقراء الطالبين عاملاً رخيصاً. فضجر اخيراً من هذا العمل وسئم المعيشة منهُ. وفي احد الايام تطاول عَلَى احد مستخدميهِ وضربهُ فحكم عليه بالسجن ستة اشهر. وبعد انقضاء هذه المدة عقد نيته عَلَى اتخاذ مهنة جديدة وعوَّل بعد التروّي عَلَى اتّباع اللصوصيَّة. فبذل كل ما ملكت يداه (ولم يكن ذلك شيئاً يذكر) عَلَى ابتياع الادوات اللازمة لفتح وخلع وكسر الابواب والشبابيك والاقفال. ثم اخذ يفكر باسهل منزل يطرقه مَن كان مستجداً بالمهنة نظيره. فلم يجد اكثر مناسبة من المنزل الملقب « بالارز » وهو ملك القائد ثربرن وذلك لعدة اسباب: اولاً لان القائد كان متغيباً مع فرقته في افريقيا. ثانياً لان المنزل كان يبعد ميلاً كاملاً عن القرية وثالثاً لان اثنين من خدام المنزل الثلاثة كانا غائبين عنه في تلك الليلة فلما اشتد الظلام حمل رتشارد بيده الواحدة كيس ادواته وبالاخرى كيساً فارغاً ليضع فيه السلب واخذ يحث الخطى نحو المنزل المذكور. وحال وصوله اليه تسلق الجدار ووقف عَلَى الجناح (البلكون) يتلصص من الشبابيك الى

داخل الغرف . فوجد احدى النوافذ مفتوحة ولكنه لم يشأ الدخول منها لئلا يحط من شرف مهنته الجديدة بل عمد الى نافذة مقفلة واخذ يعالجها بادواته مدة ولما لم ينجح بفتحها عاد الى المفتوحة ووقف امامها متنصتاً متلصصاً فعرف انها غرفة نوم لانه سمع فيها غطيط نائم .
ثم سمع وقع اقدام ورأى امراة دخلت الغرفة بخفة وسمع صوتاً يقول لها لقد اجفلتني وارعبتني . فاجابت الداخلة وكانت ربة المنزل — صه انك كنت تشخرين . فعلم انها تخاطب خادمتها التي اجابت مولاتها بقولها — لا عجب في ذلك فاني اكاد اموت تعباً . فقالت السيدة — خفضي صوتك لئلا يستيقظ

ثم سمع رتشارد صوت ولدٍ يصرخ « آه يا اماه اني متألم جداً » ففهم ان كل اهل البيت كانوا حينئذٍ في تلك الغرفة اي الولد والوالدة والخادمة وتأكد عدم وجود احد سواهم في باقي الغرف فارتأى ان يدخل المنزل من الطابق الاسفل ولكنه لم يعمل برأيه هذا لعلمه بان الغرف السفلية تكون مقفلة ولظنه ان ربما نزلت الوالدة او الخادمة الى المطبخ في حاجة للولد ولذلك تسلّق عريش الجناح ودخل من نافذة مفتوحة الى علية تحت القرميد

٭

كانت السيدة ثربرن قد ودعت زوجها منذ عدة اشهر وهي تعلم انه ذاهب لخوض المعارك وربما عاجلاً او آجلاً يبلغها خبر غرقه

اوسقوطه في ساحة القتال ولكنها لم تشعر قط بافتقارها الى حضوره كما شعرت في هذه الليلة حينما أُصيب ولدها بعلَّة خبيثة قتَّالة

وكان منزل اقرب طبيب اليها يبعد عنها ميلين ولم يكن حولها جيران ولا احد معها في البيت تلك الليلة سوى خادمتها حنة . وكانت قد ارسلتها لتدعو الطبيب فذهبت واذ لم تجده في البيت رجعت دون تخبر اهل بيته باسم المريض ليرسلوه اليه حال رجوعه . ولما وصلت الى البيت كان الولد قد ارتاح قليلاً وهجع فقالت لها والدته — اجلسي بجانبه وراقبيه . فجلست ولم تلبث ان نعست واخذت تغطُّ في نومها حتى أيقظ غطيطها المريض فاخذ يصرخ متألماً وقد ظهرت عليه دلائل الضعف فقالت الام للخادمة — ياحنة يقتضي ان تذهبي ثانيةً الى الطبيب الان فلا بد ان يكون قد عاد الى منزله . اسرعي . قالت — لا أقدر ياسيدتي

قالت — بل لا بُدَّ من ذهابكِ فانا لا اقدر ان اترك الولد في مثل هذه الحالة فارجوك ان تنطلقي الى حيث اشرتُ . اسرعي لاجل الصبي ان كنت لاتفعلين ذلك لاجلي . قالت — اني تعبةٌ جداً يا مولاتي ولا ريب اني اقع في منتصف الطريق . قالت — اذاً اذهبي الى اقرب بيت من هنا وقولي لاهله ان يستدعوا لنا الطبيب . آه الا ترين مقدار ضعفه وانحطاطه؟

فقامت حنة متباطئة وتقدمت الى الباب بين تذمرٍ وتنهد

وهي تقول — يا سيدتي طالما هذه ارادتكِ فانا ذاهبة الآن

لتغيير ملابسي

قالت — ملابسكِ ؟ إلبسي ردائي وقبعة سيدكِ وَ . . .

فقاطعتها حنة قائلة — لا لا يا سيدتي بل اذا ذهبت لاقلاق

الناس ليلاً فانا اذهب بقبعتي

قالت — اسرعي اذاً . اين قبعتك ؟

قالت — في غرفتي حيث وضعتها عند عودتي من بيت الطبيب .

هل امرتِ ان انطلق الى بيت بلمر ؟

قالت — نعم فهذا اقرب بيت منا ومتى وصلتِ اليه قولي لاهله

ان يستدعوا لنا الدكتور دين وان لم يجدوه فاول طبيب يهتدون اليه

وان صادفتِ رجلاً في الطريق حين خروجك من هنا فارجعي به

ليركب حصاننا و يذهب في طلب الطبيب

قالت — ولكن السرج ليس هنا فاننا قد بعثنا به الى السروجي

ليصلحه

قالت — لا بأس افعلي كما امرتك

قالت — هل مفتاح الاسطبل معك ؟

قالت — نعم هو علَى الرف في غرفتي

قالت — هل اقول لبلمر ان ياتي الى هنا و يركب الحصان ؟

قالت — لا . لا . بل اذا وصلت الى بيته فقولي له يسرع من

هناك حالاً ولكن اذا صادفت رجلاً آخر قبل وصولك الى بلمر فـ . .

فقاطعتها حنة بقولها — لا . لا يا مولاتي اني لا استطيع ذلك

ولو لم تكن يدا الولد قابضتين على يدي والدته لما استطاعت مدام ثربرن ان تضبط نفسها عن الهجوم على حنة وصفعها بشدة ولكنها سكّنت غضبها وقالت لها — اسرعي الى بيت بلمر وهو يدعو الطبيب . فخرجت حنة واغلقت الباب بعنف خلفها دلالة عَلَى انها مالكة قياد نفسها وليست مملوكة . ولما خرجت وضعت مدام ثربرن يدها عَلَى جبين ولدها فهدأ روعه واعتدل نَفَسهُ وأغمض عينيه ونام . واذا بصرخة هائلة من الغرفة العلوية تلاها صياح متواصل ثم صوت خطوات مسرعة الى ان فُتح الباب فجأةً فدخلت منه حنة كفاقدة العقل وانطرحت عَلَى الارض وهي تصرخ بلا انقطاع حتى افاق الصبي عَلَى صوتها وجعل يبكي . فوثبت والدته اليها وصاحت بها — ويحكِ ايتها الحمقاء انهضي وقولي ماذا جرى؟ فنهضت حنة ولكنها لم تكف عن الصراخ كمختلة الشعور فأمسكتها سيدتها بكتفها وقالت — اخرسي ايتها الفاجرة والا قتلتك بيدي . غير ان حنة ألقت بنفسها على الارض ثانية وصاحت « لصوص . لصوص . رأيتُ رجلاً في غرفتي » . فقالت لها مولاتها —

ايتها الجبانة الشريرة انك لم تري سوى ظل الناموسية · انهضي حالاً وانطلقي فقد كدتِ تقتلين الولد بعملك هذا · بيدَ ان حنة لم تنهض ولم يؤَثر كلام سيدتها فيها شيئاً بل بقيت منطرحة عَلَى الارض وهي تردد بلا انقطاع كلمة « لصوص » فازداد لذلك صراخ الولد ووقفت الوالدة حيرى لاتدري ماذا تفعل وقد امسى الشخص الوحيد لخدمتها مختلاً لا يُرجى منه فائدة · وان هي لكذلك اذ سمعت وقع اقدام عَلَى درج الدار فترجح لديها صحة قول الخادمة ووقفت مصغية · اما حنة فلما سمعت صوت المشي رفعت رأسها وصاحت مرتعدة « ها هو آتٍ » واعترتها نوبة عصبية لم تعد تعي معها عَلَى شيء

٭

سبق القول ان رتشارد تسلق الى الطابق الاعلَى من الدار · فوجد نفسه في غرفة فسيحة غير متقنة الترتيب وبعد ما تأملها على نور فانوسه وجدها تحتوي عَلَى سرير ومائدة غسل واربعة كراسي وستار قد علقت خلفه بعض ملابس نسائية فاستنتج انه في غرفة الخادمة وقال في نفسه « لابد ان أجد فيها بعض دريهمات » ولكن حالما ابتدأ بالتفتيش طرق سمعه صوت انغلاق باب تبعه وقع اقدام صاعدة في الدرج فأسرع واختفى وراء الناموسية ظاناً ان الخادمة لايكون معها سوى شمعة ضعيفة النور فلا يمكن ان تراه · وما كان اشدَّ عجبه لما رآها قد دخلت ودفعت بيدها زراً كهربائياً فاضاء

الغرفة كما بنور الشمس فقال في نفسه «يا للجهالة والاسراف . ايضيئون ايضاً غرف الخدام بالكهربائية؟» واذ كان يعرف الخادمة بالنظر خطر له ان يستميلها لتساعده في غرضه اذا هي اكتشفت مخبأه. اما حنة فاخذت القبعة ولبستها امام المرآة بيدين ترتجفان حنقاً وقالت بصوت مسموع « ما اشد اللغط الذي تعمله بسبب هذا الولد القبيح » ثم تقدمت وازاحت طرف الناموسية بعنف فبدا لها رتشارد جامداً وقد تكلف ابتسامة على وجهه الشنيع ظاناً انها تحببه الى حنة . ولكن هذه حالما وقع نظرها عليه صرخت كالمجنونة واندفعت هاربة من الغرفة ولم تتوقف حتى انطرحت قدام سيدتها وكان من امرها ما كان . اما رتشارد فخنق جداً حينما رأى ان قده واعتداله وابتسامه لم تجتذب الخادمة وقال « لا ارجع فارغاً . وبما ان امري قد افتضح فالاوفق ان أنزل والقي الرعب في قلب المرأتين واسلب ما اقدر على سلبه بواسطة التهديد والتخويف » . ثم نزل الدرج بخطوات ثابتة واهتدى الى الغرفة التي كانوا فيها بصراخ الخادمة فدخلها وقد امسك بيده الواحدة كيس ادواته وبالاخرى فرداً ابراقاً من ارخص جنس وكانت حنة لاتزال منطرحة على الارض والولد قد جلس في الفراش متمسكاً بامه . فلما وقعت عيون الثلاثة على رتشارد سترت الخادمة وجهها بيديها وصاح الصبي خوفاً ولكن الوالدة بقيت ساكنة الروع رابطة الجأش وقد ثبتت نظرها في وجه اللص وقالت له — ماذا تريد هنا

ياخواجا؟ فتكلف رتشارد صوتاً جافياً واجاب — ماذا أُريد ؟ أُريد حُلاك ودراهمك وان لم تسرعي بتسليمها فاني آخذ روحك ايضاً

فنظرت اليه مدام ثربرن هنيهة ثم قالت بصوت ثابت - انك جئت الى هنا لعلمك ان القائد ثربرن غائب في افريقيا ولانك عرفت انه لا يوجد في البيت سوى امرأتين وصبي صغير ومع ذلك تحسب نفسك رجلاً وفوق ذلك انكليزياً فيالك من نذل جبان ردي

فوقف رتشارد امامها كالحائر الذاهل وهو لا يعلم ماذا يفعل او يقول ولم يسمع في الغرفة سوى انين حنة على الارض وبكاء المريض في الفراش وقد أُغمي عليه فاسرعت والدته الى خزانة هناك واخذت زجاجة سكبت منها شيئاً في ملعقة وجرعته اياه ففتح عينيه واخذ يئن انيناً ضعيفاً. جرى كل ذلك ورتشارد واقف لا يبدي حراكاً كساعة تعطلت آلاتها فجأة فتوقفت ثم التفتت اليه السيدة ثربرن وقالت — يارجل ان الولد في حالة النزع فاركض حالاً واستدع الدكتور دين. فاجاب متحيراً — الدكتور دين ؟ قالت نعم الدكتور دين اجرِ الى اول بيت في قرية شلتن فهو بيته. اركض يا رجل ألا تراه ينازع ؟

فطرح رتشارد كيس اوائله في الغرفة وخرج يعدو في الطريق الى القرية المذكورة قبلما قدر ان يجمع شتات افكاره ويدرك ان

جريهُ الان لم يكن لهُ علاقة بمهنة اللصوصيّة ولكنه كان يردّد قوله « حقاً انها الامرأة جليلة وقورة ؟ » وظل يعدو الى ان انتهى الى كوخ صغير يبعد نصف ميل عن قرية شلتن · فرأى امام الباب دراجة (بيسكل) وظن انه يبلغ وجهتهُ باكثر سرعة اذا ركبها · ولما خطر لهُ ذلك تقدم فجرّها الى وسط الطريق وهمَّ بالركوب واذا بباب الكوخ قد فُتح وخرج منه رجل طويل القامة انقضَّ علَى رتشارد انقضاض النسر علَى صغار الطير فاسرع اللص وركب الدراجة ولكنه لم يبعد اكثر من ثلاثة اذرع حتى هوَت به الى حفرة اذ لم يكن لهُ إلمام بركوب الدراجات غير انه باسرع من لمح البصر وثب قائماً فداس الدراجة وكسرها وطفق يركض · الاَّ ان الرجل كان اخفَّ منه فأَدركه واخذ بطوقه من خلف وصاح به — قف مكانك · فاجتذب رتشارد نفسه من قبضة خصمه وادار وجهه اليهِ · فقال لهُ الرجل الطويل — ما قصدك بهذا العمل ؟

قال — قصدي؟ استدعاء طبيب

قال — من انت ومن يحتاج الى الطبيب ؟

قال — اني قادم من منزل الارز

قال — الارز؟ بيت السيدة ثربرن ؟ هل انتَ خادمها؟

قال — نعم انا خادمها

قال — حسن واي طبيب تقصد ان تستدعي؟

قال — اني ذاهب في طلب الدكتور دين

قال — الدكتور دين ؟ وهل تعرفه؟

قال — اني اعرفه حق المعرفة

فتقدم الرجل الطويل خطوة نحوه وقال له — اذاً تعال معي ياصاحبي وانا انصحك ان تتبعني صاغراً لاني مضطر ان اسلمك لرجال الشحنة

فاجابه رتشارد بحنق — لاي سبب ذلك فقداخبرتك اني ذاهب بطلب طبيب

قال — نعم قد اخبرتني كفاية فقد قلت لي انك خادم مسز ثربون مع ان خادمها مريض في هذا الكوخ · وقلت ايضاً انك تعرف الدكتور دين فانا هو الدكتور دين · فهل تجيء طائعاً الان ؟

قال — هل انت الدكتور دين ؟

قال — نعم انا هو واز يدلك علماً ياصديقي باني احد حكام البلدة ايضاً

قال — ان كنت انت الدكتور دين فهلم معي الى منزل مدام ثربون

قال — لا · لا · بل انت تأتي معي الى شلتن

قال — ولكنني اقول لك انك مطلوب

قال — وانا اقول لك انك انت المطلوب فتعال معي صاغراً

فقفز عند ذلك رتشارد الى الوراء وصوب فرده الى خصمه بجفاء وقال اما ان تجيء معي والا نسفت دماغك في الحال فاني اقول لك ان الولد على شفا الموت

فاجفل الدكتور لهذه الكلمات وقال — الولد؟

اجاب — نعم الولد

قال — يظهر لي انك تعرف شيئاً من احوال الاسرة ولذلك اذهب معك بشرط ان تسلمني هذا الفرد لا لأني ابتغي اذيتك بل خشيةً من غدرك

قال — قتلني الله ان فعلت

قال — اذاً لا اذهب معك

قال — اذاً اطير دماغك

قال — وكيف تنفع الولد بعد ذلك ؟

فتفكر رتشارد قليلاً ثم قال — هاك الفرد وهلمّ معي

فاخذ الطبيب الفرد وخبأه في جيبه قائلاً — قد اتضح لي انك تكلمت بالصدق فهيا بنا نركض . قبحك الله لانك كسرت دراجتي . ثم اخذا يركضان جنباً لجنب . وكان الطبيب متمرناً على الركض فبلغ منزل مدام ثربرن بدون ان تظهر عليه دلائل التعب

بخلاف رتشارد الذي كان يلهث تعباً والعرق يتصبب من جبينه . وكانت مدام ثربرن تنتظرهما وهي على احرّ من مقالي النار فصاحت حالما سمعت انفتاح البوابة — أهذا انت ياد كتور دين ؟ فاجاب الدكتور — نعم يا سيدة فهل تحتاجين اليّ ؟ قالت نعم نعم أصعد حالاً . فالتفت الطبيب الى رفيقه وقال — انك صدقت في قولك فألتمس منك المعذرة . والان اجلس هنا فاني اراك منهوكاً وانا اترك لك باب الدار مفتوحاً حتى اذا خطر لك . . . ثم توقف قليلاً فضغط علَى يده وقال — يمكنك ان تطلق ساقيك للريح

فجلس رتشارد علَى اسفل الدرج وصعد الدكتور بخفة الى غرفة المريض . وكان اللص يسمع همس الكلام دون ان يفهمه ولم يقدر علَى جمع افكاره وانما كان يردّد قوله « يا ترى كيف حال الولد المريض الان ؟ » ثم نهض وصعد الدرج متعثراً ومشى علَى اطراف اصابعه حتى وقف بباب الغرفة وجعل يسترق النظر الى داخلها . فرأى الولد مستيقظاً ودلائل الراحة علَى وجهه . وكانت حنة قد خرجت من الغرفة والطبيب جالس الى مدام ثربرن بجانب سرير المريض وهو يحدثها بصوت منخفض . ورأى رتشارد كيسه في وسط الغرفة وقد بانت منه بعض ادوات اللصوصية فخطر لهُ ان يطفىء النور

الكهربائي ثم يهجم على كيسه فيخطفه ويخرج باسرع من وميض البرق من تلك الغرفة وتلك الدار حتى يجيء منزله فيستريح من مشقات هذه الليلة المنحوسة الطالع ويفكر بمباشرة مهنته في منزل آخر . ولما خطر لهُ ذلك مدَّ يدهُ خلسةً ودفع بها احد زرَّي النور الكهربائي وقفز في نفس اللحظة الى وسط الغرفة خشية ان ان تفوته الفرصة ويمنعه الظلام عن رؤية الكيس . فما كان أعظم حيرته حينما رأى انه لم يعقب هذه الحركة ظلام بل تضاعف النور لانه بدفعه الزر اضاء قنديلاً ثانياً فوق السرير . وللوقت التفت اليه الدكتور دين ومدام ثربرن فحنى رأسه حائراً مفشولاً . فقال الدكتور للسيدة — هذا رسولك وأظنه قدحضر الان ليستخبر عن العليل . ثم وجه الكلام الى اللص وقال — اطمئنك انه أحسن . وعاد فقال لمدام ثربرن — هل تعرفين هذا الرجل ؟

فتفرَّست فيه السيدة طويلاً واجابت — نعم أعرفه

قال — أَخبرني انه يشتغل عندك فهل هذا صحيح ؟

قالت — نعم صحيح

فتأَمل الطبيب وجه ذلك الشقي هنيهة ثم قال مشيراً الى كيس اللصوصية — وهل هذه هي الادوات التي يشتغل بها ؟

قالت — أظن هكذا

قال — وهل وجدته خادماً اميناً ؟

قالت ـ نعم

فضحك الطبيب وقال ـ أصبت . فهو امين بهذا المقدار حتى انه تهدَّدني بالقتل اذا أبيت المجيء لعيادة ولدك . ولعلك تودّين ان تتكلمي معه الان فانا ذاهب لأرى الخادمة وارجع فوراً . قال هذا وخرج لشأنه . فتقدمت مدام ثربرن الى اللص ومدت لهُ يدها قائلة — اني اشكرك من كل قلبي فانك كنتَ لي ولولدي في هذه الليلة صديقاً مخلصاً . فصافح رتشارد اليد الممدودة وهو لا يعي على شيء . وأردفت السيدة كلامها بقولها — عندي مركبة بحصان واحد واودُّ ان اجعلك حوذياً (عربجياً) عليها وكذلك لي بستان اترك امر العناية به اليك وانا علَى يقين انك في ايام قليلة تتعوَّد هذا العمل وأُعطيك غرفتين فوق الاسطبل لسكناك وقد كان يسكنهما خادمي الاول الذي يقول عنه الطبيب ان مرضه لا يمكنه من الرجوع الى عمله فهل تقبل مركزه؟ وقبل ان يجيب قالت ضاحكة ـ ولقد سمعتني اقول للدكتور دين انك تشتغل عندي فلا تجعلني كاذبةً لديه

فاجاب رتشارد بصوت متأثر — اني غير اهل لهذا المركز ياسيدتي

قالت — ان الحكم بهذا منوطبي وحدي وانت قد اظهرت نفسك هذه الليلة رجلاً حنوناً واميناً

فقال اللص بصوت متقطع وهو يمسح الدموع من عينيه : بارك الله فيك يا مولاتي وثقي باني مستعد ان اموت من اجلك

ثم فُتح الباب ودخل الدكتور دين وتفرس في وجه وتشارد فرأى آثار الدموع ظاهرة عليهِ . ولما جلس قال للسيدة ثربرن — انك قد خسرتِ خادمتك حنة فهي وان تكن قد فارقتها النوبة العصبية ولكن لم يفارقها حنقها وقد تركتها ترزم صناديقها استعداداً للسفر والان قد اوشك الليل ان ينتهي فاسمحي لي ان ابدي لكِ رأياً بخصوص هذا الرجل الفاضل وهو ان تعرضي عن استخدامه فآخذه معي الى شلتن و . . .

فقاطعته مدام ثربرن قائلة — لا . لا فقد عزمت عَلَى ان أُعطيه مركز خادمي كوكسن.

قال — أتحسبين نفسك مصيبةً بهذا ؟

قالت — نعم كل الاصابة

قال — فاذا كان الامر كذلك فانا مضطرٌ ايضاً ان اسامحهُ لكسره دراجتي الجديدة . ولكن هذه الظروف تحوجني ان ابيت هذه الليلة هنا . فهل تقدر بن ان تقدمي لي طعام الفطور الساعة الثامنة صباحاً ؟ نعم ان حنة تكون قد غادرت البيت ولكنني اقدر ان اصلح طعامي بيدي

قالت — حباً وكرامةً ولا داعي لاظهار براعتك في فن الطبخ

فان طاهيتي الجديدة قادمة الى هنا الساعة السابعة صباحاً

قال — حسن فاسمحي لي الان بحديث قصير مع خادمك الجديد هذا

فترددت مدام ثربرن قليلاً ثم قالت — لا بأس ولكن اذكر انه خادمي

قال — ثقي اني لا أنسى ذلك . ثم قال لرتشارد — تعال معي يارفيقي في الركض فنرتاح في المطبخ الذي هو ادفأ محل في المنزل وهناك احدثك قليلاً واقدم لك بعض ملاحظات وتعليمات بخصوص مهنة تدبير البساتين لكي تصادف في هذه الحرفة نجاحاً أعظم من النجاح الذي صادفته في صناعتك الاخيرة التي ابتدأت بها عند المساء واضطررت الى تركها قبل الصباح

ثم وضع يده الواحدة بيد رتشارد واخذ بالاخرى كيس الادوات وذهبا معاً الى المطبخ حيث اطال الدكتور الحديث مع رفيقه الى طلوع النهار . وقبل ان ينصرف في الصباح اخذ معه الكيس والادوات على سبيل التذكار وتعويضاً عن دراجته المكسورة

ولم تضع مدام ثربرن ثقتها في غير محلها لان خادمها الجديد تفانى في سبيل خدمتها بغيرة وامانة صادقتين . اما الدكتور دين فحسب ذلك سراً غامضاً لا يستطيع ادراكه

(عن الانكليزية)   مسعود قربان

الطباعة

(تابع لما قبل)

وُلد يوحنا غوتنبرغ سنة ١٤٠٠ في مدينة مينز عَلَى نهر الرين في جرمانيا الجنوبية وهو من اسرة عريقةٍ في الشرف. وكانت مدينة مينز في ذلك العهد مستقلة كغيرها من مدن جرمانيا يُدبّر شؤونها افرادٌ تقيمهم الامة نفسها وبسبب ذلك كان يحدث عَلَى الدوام منازعات واضطرابات شتى بين الطبقتين العالية والمتوسطة من الشعب.

ولا نعلم شيئاً عن طفولية غوتنبرغ وحداثته غير انه لما كان من الاسر الشريفة تلقن من العلوم والآداب ما كان لائقاً بامثاله. ولما صار له من العمر عشرون سنةً طردت اسرته من مينز وذلك لخلاف وقع فيما بين الطبقة العليا (الاشراف والعظماء) والطبقة المتوسطة (التجار والاغنياء) سببه حقوق ملاقاة الامبراطور. فقام اهل الطبقة الثانية عَلَى الاشراف واهانوهم وألحقوا بهم اضراراً جمة والجأوهم اخيراً الى الفرار من مينز واستولوا على مقتنياتهم. وكان من جملة النازحين اسرة غوتنبرغ فهولاء ارتحلوا الى مدينة ستراسبورج (في مقاطعة الالزاس الحالية) حيث اقاموا عشر سنوات ثم عادوا الى وطنهم مينز الا يوحنا فانه صمم عَلَى البقاء في ستراسبورج.

وقد افاده ذلك فوائد جزيلة لم تكن في الحسبان· فانه اذ كان هنا في حالة الفقر اضطر ان يشتغل باحدى الحرف كباقي العامة مع انهُ لو ظل في مينز لما امكنه ذلك لانه من الاشراف

فاشترك غوتنبرغ مع بعض صاغة ستراسبورج واخذ يجهد نفسه لاختراع طريقة جديدة لصقل الاحجار الكريمة وجلي الزجاج آملاً ان يحصل بواسطة ذلك عَلَى مال جزيل · وكانت هذه الشركة مشتغلة علَى الخصوص بصناعة المرايا· بيد ان غوتنبرغ بدلاً من الانشغال بتلك الصناعة والاهتمام بها استنبط طريقة جديدة لطبع الكتب وهي وان لم تكسبه ثروة طائلةً غير انها أَبّدت اسمه وخلدت ذكره

وقضى غوتنبرغ من سنة ١٤٣٨ الى سنة ١٤٤٠ في دير بضواحي ستراسبورج وقد صرف همهُ هنا عَلَى الخصوص الى النظر في القوالب الهولندية التي كانت الى ذلك العهد آخر شيء مستحدث في الطباعة· وبعد ان اطال فكرته في قوالب كوستر جزم بان هذا النوع من الطباعة شاقٌ جداً وان الافضل بكثير لو اصطنعت حروف منفردة تُنضَّد وتفرَّق حسب المطلوب بحيث يُطبع بها اي كتاب كان في مدة قصيرة· وما زال غوتنبرغ يجهد نفسه في هذا الشان حتى توصل الى اختراع فن الطباعة بالحروف المنفردة علَى ماهو عليه الان

واول امتحان جرى في هذا الشان وشُهد بنجاحه كان في سنة ١٤٤٠ وهي السنة التي يُنسب اليها اختراع الطباعة . مع ان غوتنبرغ في هذه السنة لم يطبع شيئاً من الكتب فان الحروف الخشبية التي اتخذها بادىء بدء لم تكن صالحة للاستعمال لانها لاتلبث ان تتكسَّر وتتلف فاقتضى استبدالها بحروف معدنية . ولما كانت لا تصلح كلها للعمل اقتضى انشاء محل خصوصي للتجربة والامتحان . ولكن ذلك كما لا يخفى يقتضي فَعلة ونفقات أُخر لم يكن في وسع غوتنبرغ القيام بها . فطلب المساعدة والامداد المالي من شركائه وغيرهم من التجار وارباب المهن فلم يوافق طلبه من احد منهم اذناً صاغية لان عملهُ كان جديداً مجهولاً والانسان يحجم بالطبع عن المخاطرة في كل امر يجهله . وهكذا ظلَّ غوتنبرغ خمس سنين بانتظار المساعدات الماليّة . ولما لم يُقدم احدٌ في اثناء هذه المدة عَلَى معاضدته غادر ستراسبورج شاخصاً الى مسقط رأسه . وكان ذلك سنة ١٤٤٥ . وهنا ايضاً صرف هذا المخترع العظيم خمس سنوات اخرى وهو في اشدّ ضروب المحن والفاقة . ولم يكن احد ليقدّر عملهُ و يأخذ بناصره ليتمكن من ابراز هذا الاختراع العجيب الى عالم العمل

(ستأتي البقية)

التربية والامهات

عنوان قصيدة من بدائع الشعر العربي لحضرة الشاعر المشهور معروف افندي الرصافي نقتطف منها ما يأتي

هي الاخلاق تنبتُ كالنبات اذا سُقيت بماء المكرماتِ
تقوم اذا تعهدها المربي عَلَى ساق الفضيلة مثمراتِ
وتسمو للمكارم باتساقٍ كما اتسقت انابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً بازهارٍ لها متضوعاتِ
ولم أرَ للخلائق من محلٍ يهذبها كحضن الامهات
فحضنُ الامّ مدرسةٌ تسامت بتربية البنين او البنات
وليس ربيب عالية المزايا كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنانٍ كمثل النبت ينبتُ في الفلاة
فياصدر الفتاة رحبتَ صدراً فانت مقرُّ اسنى العاطفات
نراكَ اذا ضممتَ الطفل لوحاً يفوق جميع الواح الحياة
اذا استندَ الوليد عليك لاحت تصاوير الحنان مصوّرات
وما ضر بان قلبك غير درسٍ لتلقين الخصال الفاضلات
فاول درس تهذيب السجايا يكون عليك ياصدرَ الفتاة
فما للامهات جهلن حتى أتين بكل طياش الحصاة
حنونَ عَلَى الرضيع بغير علمٍ فضاع حنو تلك المرضعاتِ

معاهدة تجارية مع السماء

ان بول دوغالد احد مشاهير الجوهريين في باريس قد ساءت احواله وغاب نجم سعده في بعض الايام فعزم ان يعقد معاهدة تجاريَّة مع السماء استدراراً لبركاتها والتماساً لمعونتها في انجاح اعماله · وصك العهدة الذي كتبهُ هذا الجوهريُّ البعيد الهمَّة في سنة ١٩١٧ يبتدئ بهذه الكلمات « انا بول دوغالد الجوهري الباريسي قد أقدمت على الاشتراك مع السماء في معاهدة تجاريَّة فأتعهَّد بملء الامانة والصدق ان اتمم جميع البنود الواردة في هذه المعاهدة واذا متُّ قبل ان يتيسر لي انفاذها برمَّتها فيتحتم على ورثتي في اية حالة كانوا ان يقوموا بتنفيذها طبقاً لوصيتي » وتلا ذلك نصُّ العهدة محتوية على موادّ كثيرة فيما يتعلق بابتياع الادوات والمصوغات الجوهرية المختلفة وبيعها · وكُتبت هذه المعاهدة لمدة خمس سنوات وأَجلها ينقضي في اول تشرين الاول سنة ١٧٢٤ · ودفع بول دوغالد لهذا المشروع كل ثروته البالغة ثلاثة الاف غرش اسباني مع بيان طريقة حصوله عليها تلافياً لكل مظنة فذكر ان قسماً منها ورثهُ عن والده والقسم الاخر عن والدته واثبت ذلك بالايضاحات الرسمية · وقد ابقى دوغالد لنفسه حق تجديد هذه المعاهدة بعد مرور المدة المعينة كما ان له الحق ان

يتزوَّج في اي وقت اراد واشترط على نفسه ان يجري الحساب بمنتهى التدقيق وان يقسم المال عند تمام المدة هكذا : اولاً — يأُخذ لنفسه ٣٠٠٠ غرش وهي القيمة التي دفعها للمشروع . ثانياً — ياخذ البائنة (الدوطة) التي ستقدمها له زوجته اذا تزوج . ثالثاً — يأخذ الاموال التي يحصل عليها في تلك المدة ارثاً عن اقارب به المتوفين رابعاً — وكل مازاد عن ذلك يقسم بالتساوي بينه وبين السماء . ولم يطلب دوغاله من هذا « الشريك » سوى البركة والمعونة

وبعد ان ثبت بول كل ذلك ترك وطنهُ وشخص الى اسبانيا وكلهُ آمال بحسن المستقبل . ولم يلبث ان ابتسم لهُ ثغر السعادة وفُتح امامه طريق الغنى . وذلك انه بعد وصوله الى اسبانيا بمدة وجيزة تعرَّف اتفاقاً بالكردينال ألبرت وكان وقتئذٍ من أعاظم الوزراء واكثرهم نفوذاً وقوةً . فاكتسب بول ثقتهُ ومحبتهُ وفاز بواسطته بالشهرة والنجاح في البلاط وفي غيره من قصور الاغنياء والعظماء . بيدَ ان الكردينال لم يلبث ان أفل كوكب مجده واضطرَّ الى الاستعفاء من منصبه فوجد بول شخصاً آخر لاذ به وهو المركيز سكوتّي فوثق هذا به وسعي بتعيينه جوهرياً في البلاط الملوكي . وبهذه الواسطة ازدادت ثروة بول واكتسب صيتاً بعيداً واسماً مشهوراً . وحدث في تلك الآونة ان عُقدت خطبة عروسين من مشاهير البوربون في اسبانيا وفرنسا فعُهد الى بول القيام بتجهيز اكثر

الحلي" الثمينة للعروسين · ولاجرم ان ذلك زاد في ثروته زيادة غير منتظرة · وحينئذٍ تزوّج بول فأخذ من امرأته بائنة قدرها ثلاثون الف فرنك · وهكذا صار هذا الجوهري الفقير صاحب مبلغ مئة وعشرين الف فرنك وهي ثروة طائلة في نظر ذلك الزمان · ولم ينسَ بول معاهدته مع السماء بل كان بكل تدقيق وصدق يقوم بجميع موادها : فكان في آخر كل شهر يجرد حساباته ويقسم الارباح بالمناصفة فيبقي لنفسه نصفاً ويقيد النصف الآخر باسم شريكه « السماء » · ثم يأخذ نصف واردات شريكه ويوزعهُ على الفقراء والمحاويج · ومن مطالعة دفاتر بول واوراقه ظهر انهُ في مدة خمس سنوات الشركة وزع على الفقرآء والايتام والارامل اكثر من اربعة عشر الف فرنك

وفي اول تشرين الاول سنة ١٧٢٤ انقضى أجل المعاهدة فعمل بول كشفاً مرتباً بغاية التفصيل والاتقان عن اعمال هذه الشركة وكتب لائحة بجميع ما تملكه وبجميع الاموال التي باسمها ثم حسب ارباحها فاخذ ما يخصّهُ منها حسب نصّ المعاهدة · اما المصوغات الثمينة الباقية باسم الشركة برسم المبيع فكانت كثيرة مودعة في امستردام وباريس ومدريد فقيدها بول في لائحة خاصة واشار الى ما يخصّه منها والى ما يخص شريكه · وبعد ان بيّن بول كل ما تهمّ معرفته من هذا القبيل ختم تقاريره بهذه الكلمات « واذا شاء الله

ان يقبضني اليه قبل مبيع كل الموجودات المختصة بالشركة فانا أطلب من ورثتي ان يحسنوا القيام بوصيتي وهي ان يبيعوا جميع هذه المقتنيات ويوزّعوا نصفها على الفقراء . واذا تغاضوا عن ذلك ولم ينفذوا ارادتي فلتحلّ بهم المصائب ولتضطهدهم لعنتي مدى حياتهم » . وفي شهر شباط من سنة ١٧٢٥ مرض بول واشتد مرضه فامر بكتابة وصيته الاخيرة . وقد عين بموجبها لورثته (وهم زوجته وطفل له عمره ثلاث سنوات) جميع امواله ومقتنياته الا ما كان منها باسم الشركة فهذه أمر بقسمتها وتوزيع نصفها على الفقراء والبوءساء . ولم يمض على ذلك الايام قليلة حتى توفي بول ولم يرضَ ورثاه ووكلاؤهما بتنفيذ هذه الوصية الغريبة بل أحبوا الاستئثار بكل الشركة . فلم يوافقهم على ذلك بعض الحكام المطلعين على حياة بول ووصيته ورُفع الامر الى المحاكمة . وقد نظرت فيه ملياً محكمة فرنسا العليا . وبعد المرافعات والمجادلات الطويلة حكمت على الورثة بتنفيذ وصفة بول دوغالد . وهكذا بيعت جميع تلك المقتنيات ووُقف نصفها تماماً لوجوه البر والاحسان

الاقراص المحترقة

اشتهر ألفريد احد ملوك انكلترا القدماء بالحكمة والعقل الراجح والدراية التامَّة في نفع بلاده حتى لُقب بالعظيم فضلاً عن

استهاره بالتفنُّن والتفرُّد في قيادة الجيوش · وكانت حياتهُ متنازعة بين اعباء الملك وعناء الحرب · واشتهر الدانيمركيون في عهده بشدَّة عداوتهم لانكلترا وكانوا قد أغاروا عليها بحراً وربحوا اكثر المعارك والمواقع لثبات جأشهم ووفرة عددهم وكانوا يبسطون نفوذهم عَلَى البلاد الانكليزية باسرها · ففي احدى المعارك العظمى انكسر الجيش الانكليزي شرَّ كسرة وتمزَّق كل ممزَّق ولاذ الجند بالهزيمة والفرار · اما الملك الفريد فهام عَلَى وجهه شريداً بين الغابات والآجام الى ان انتهى الى كوخ حطاب قبيل الغروب وقد انهكهُ التعب وأضناه الجوع · فسأل امرأة الحطاب قليلاً من الخبز ومكاناً يبيت فيه تلك الليلة · وكانت المرأة تخبز اقراصاً · واذ رأت هذا الرجل (وهي لا تعرف مَن هو) في تلك الحالة من الفقر والعياء شفقت عليه وتلطفت معه بقولها — يمكنك ان تنال العشاء اذا أقمت هنا تلاحظ هذه الاقراص لئلاَّ تحترق بينما اذهب انا لاحلب البقرة · فجلس الملك لملاحظة الاقراص غير ان اموراً عظيمة كانت تشغل كل افكاره · فكان يفكر كيف يجمع جيشه ثانيةً ليتمكن من طرد الدانيمركيين ؟ وقد ذهل عن الاقراص ونسي جوعه ووجوده في ذاك الكوخ الحقير وجعل يرسم الخطة التي ينبغي لهُ اجراوءها في الصباح توصلاً الى النجاح · وما هي الا لحظة حتى عادت المرأة وكان الدخان يتصاعد من الاقراص المحترقة فصرخت وهي تتلظى

غيظاً « انك فتى كسلان تريد ان تأكل ولا تحبّ العمل » قال الراوي (وبعضهم يقول انها ضربتهُ بعصا ولكنني لا اصدق انها تمادت معه الى الضرب)

اما الملك فلم يتمالك من الضحك عَلَى نفسه وهو في تلك الحالة . وكان الجوع قد بلغ منه أقصاه بحيث لم يهتم لكلام المرأة وتوبيخها القارص

ولا اعلم هل حصل الملك عَلَى طعام في تلك الليلة ام نام بلا عشاء ؟ ولكن ما هي الا عشية وضحاها حتى جمع رجاله المتفرّقين وانقضّ بهم عَلَى الدانيمركيين فردهم عَلَى اعقابهم مدحورين

دمشق عبد الله

﴿ امثال ﴾

— مَن جار عَلَى صباه جارت عليه شيخوختهُ

— مهما اجتهدت المرأة ان تقلّد الرجل فجلّ ما تصل اليه انها لا تصير رجلاً ولا تعود امرأة

— المال كله من الرجل ولكن كنه للمرأة

— هفوة العالِم كالحرب يقع فيها مَن هو بريءٌ منها

— لا يزال المرء في مدرسة دهره تلميذاً ولو شاب

— الحب في قلب المرأة العاقلة كاللوءلوءة في اللج العميق لا ينالهُ الاَّ الغوَّاص الماهر

سليمان بولس

﴿ آثار ادبية ﴾

النبراس - مجلة شهرية تبحث في الاجتماع والعمران والعلم والتاريخ والانتقاد والسياسة لمنشئها ومحررها حضرة الفاضل الشيخ مصطفى افندي الغلاييني · قيمة اشتراكها في بيروت ريال مجيدي واحد وفي الولايات العثمانية مجيدي وربع · وهي تصدر مرة في الشهر وسنتها عشرة اشهر · وقد وافانا العددان الاولان منها فاذا هما طافحان بكل مفيد من المقالات الرائقة بعبارة طلية واسلوب حسن · فنرحب بهذه الرصيفة الغراء وندعو لها بمزيد الانتشار والرواج

مكتبة الزراعة — بهذا العنوان الّف حضرة الكاتب الاديب احمد افندي مدحت باللغة التركية كتاباً ضافياً يتضمن كل ما تهم معرفته للفلاحين والزراع ولما كانت اللغة العربية خالية من مثل هذه الاسفار المفيدة عزم حضرته على طبعه في اللغة العربية واوعز بترجمته الى حضرة الاديب جودت افندي خاقي عَلَى ان يكون طبعه اجزاء صغيرة تباع بقيمة زهيدة تسهيلاً لاقتنائها وقد وردنا الان الجزء الاول من القسم الاول وموضوعه التراب وتحليله · فنثني عَلَى همة المؤلف والمعرب ونرجو لعملهما نجاحاً وتوفيقاً ونحض القراء على اقتناء هذا الكتاب المفيد · وهو يُطلب في حيفا من مؤلفه وثمن كل جزء مؤلف من ١٦ صفحة ثلاثون بارة

شقاء الملوك

وكان الملك في اثناء حديث رونسار يتأمل في وجهه · ويتعجب ثم دنا من الملكة فهمس في اذنها كلاماً وعاد الى حديثه

وبعد قليل سألت الملكة رونسار ان يسير بمعيتها الى جهة اشارت اليها من الجزيرة حباً بترويح النفس قليلاً بمناظر الطبيعة · فقام الشيخ وسار بين يديها يحادثها ويسليها ووراءها سائر الحاشية الا الملك وروجر فقد تخلفا في المنزل حتى اذا غابت الملكة واتباعها عن الابصار قال الملك لروجر — هيابنا الان نبحث عن الطبيب هنري · فاجفل روجر وقال — ماذا تقول يامولاي ؟ الطبيب هنري؟ قال — نعم الطبيب هنري فهو هنا لاني لمحتُ هيئته وراء تلك الاشجار — واشار الى اجمة حافلة بكثير من شجر الصنوبر — ولا اظنني الا مصيباً في نظري · فاذا كان الامر كذلك فلا بد ان تكون له علاقة سرية مع هذه الفتاة الجميلة غلوريا ربيبة رونسار ولعله هو زوجها ولا يريد ان يكشف لي سر زواجه بها او انه يخافني على محبوبته

فازداد روجر اندهاشاً وسكت · فقال الملك — فلنذهب اذاً قبل ان تعود الملكة · فاذا كان السرُّ وراء هذه الصنوبرات فسنقف عليه والاّ فسنكتشفه في غير هذا المكان

الفصل الثامن والعشرون

﴿ اين هنري ﴾

ثم سار الاثنان في الجهة الثانية التي اشار اليها الملك وهي مقابل الجهة التي قصدتها الملكة . وكان روجر يتبع مولاه صامتاً مطرقاً وهو يقول في نفسه « ما اشقى حياة الملوك ... فهذه ثلاثة ايام فقط وكلها اسرار واكتشافات ومشقات واخطار ... »

ولم يسر الاثنان الاَّ قليلاً حتى دخلا غابة كثيفة الاشجار فتوغلا فيها وهما صامتان يتسمعان . ثم صارت الاشجار تقل فسمعا هدير البحر فقال الملك — قريباً ونصل الى الشاطىء . الا تسمع الامواج كيف تلاطم الصخور ؟ فقال روجر نعم اسمع

وما سارا بعد ذلك الا قليلاً حتى وقف الملك بغتةً وامسك بيد روجر وقال — اسمع . فوقفا وحبسا تنفسهما فسمعا صوتاً بعيداً ينشد . فاشرق وجه الملك وقال — قريباً ونكتشف السر ثم سارا جهة الصوت وقد شخصت ابصارهما . وبعد بضع خطوات وقف الملك ثانيةً وضغط عَلَى يد روجر وقال — اصغ . فسمعا صوتاً يقول « لا تغني يااميرتي ولا تفتحي فمك الوردي لئلا تسمعك اسماك البحر وطيور السماء فتأتي لتتنعم بهذه الموسيقي الفردوسية . وربما سمعك ايضاً احدٌ اشدُّ خطراً من الاسماك والطيور » فاجابه صوت آخر فيه من الرقة والعذوبة ما لا يوصف « عجباً ولماذا أراك

اليوم شديد الحذر والقلق ? لماذا حبستني طول النهار في هذه المغارة وتمنعني من الانشاد والغناء ? تقول ان الملك قد جاء الى الجزائر . فماذا يهمني ذلك ألا تعلم يامستر هنري ان الملك في نظري هو كسائر الناس فلستُ أحفل به لاني لا أخشى احداً » فقال لها هنري بصوت خافت « لا تقولي هكذا يا اميرتي . فالملك هو اشدُّ خطراً عليكِ من سائر الناس فاذا رآكِ فلا نأمن شراً كبيراً لان زوجكِ شديد الغيرة عليكِ كما تعلمين فهو لا يريد ان يراك الملك او غيره ممن يُخشى جانبهم »

فهمس الملك في اذن روجر — فاذاً هنري يعرف زوجها . وعاد فأصاخ ليسمع تتمة الحديث فسمع المرأة تقول « لا أظن ان زوجي يغار عليَّ من الملك . فهو نوتي فقير والملك لا ينظر الى امثالنا الفقراء لان له من حظايا قصره مَن يكفيه مؤونة البحث عن امثالي » . فقال لها هنري « انتِ اليوم عنيدة يا اميرتي العزيزة ولا تريدين ان تسمعي كلامي وقد أحضرتُ لكِ من عزيزكِ رسالةً يسألك فيها ان تحتجبي عن نظر الملك وتستتري وها اني معكِ ساعة كاملة اقرأ لكِ احسن اشعار غيني فاصمتي ودعيني اواصل قراءتي لان جمالاً باهراً كجمالكِ يُخشى عليه حتى من الملوك » قالت « اما أنا فأرى من نفسي ارتياحاً الى الغناء فاسمح لي فقط ان انشد لك شيئاً من اشعار غيني وبعد ذلك فأنا وما تريد »

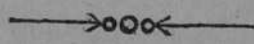
ثم اندفعت تغني بصوت ارقّ من نسمات الصبا وهنري شاخص فيها وعلى وجهه امارات القلق والرعب

وكان الملك في هذه الاثناء قد اقترب من المغارة حتى صار يسمع كل حركة يبديانها. ولما فرغت الحسناء من انشادها قالت لهنري «لاتخشَ باساً يا استاذي العزيز فهذا المخبأ لا يعرفه احد ولهذا السبب اخترتهُ انا كمدرسة أتلقى فيها منك دروسي في كل مرة تأتي الينا. وهل تعلم لماذا اخترته ولم أختر سواه ؟» قال «لم تقولي لي شيئاً من ذلك» قالت «لان حبيبي قد شاهدني فيه للمرة الاولى. فانظر ما أجمل هذه المشاهد الطبيعية الفتانة التي يمكننا أن نراها ونحن هنا» قال «بالحقيقة انه محل جميل» قالت «اما انا فكنت احب الانفراد في هذا المكان كل يوم تقريباً لاني ولعت منذ الصغر بمحبة الطبيعة. ففي احد الامساء بينا كنتُ جالسة هنا وافكاري سابحة في الفضاء أبصرت حبيبي سائراً علَى هذا الشاطئ الجميل. فلما ابصرني اندفع اليَّ واندفعتُ اليه ولم نلبث ان أشهدنا علَى انفسنا امواج البحر ونجوم السماء وازهار البرية» ولما قالت هذا عادت تغني بصوت الملائكة. وفيما كان هنري ناظراً اليها سمع بغتة وطء اقدام بالقرب من المغارة فذعر وامتقع وجهه وقال لها «مهلاً يامولاتي فكأنني اسمع صوت اقدام تقترب الينا»

وما كاد يتم هذه الكلمات حتى وقف الملك في باب المغارة

فرأى الطبيب هنري وبازائه حورية من الحور العين فلم يتمالك ان خاطبها قائلاً — غلوريا ! أأنت غلوريا ؟

فوقفت تلك الحسناء وتقدمت خطوتين الى الامام فرأى الملك جمالاً لا يوصف . فجمد في مكانه مندهشاً . اما الحسناء فنظرت اليه بجرأة وقالت — نعم انا غلوريا



الفصل التاسع والعشرون

✺ الملك في المغارة ✺

اما الطبيب هنري فلما ابصر الملك اجفل لرؤيته ولكنه بادر فرفع يده مسلماً ووقف جامداً في مكانه لا يكاد ينظر في وجه مولاه او وجه صديقه روجر . فالتفت اليه الملك وتبسم ثم قال بلهجة المازح — ما أجمل هذا المكان الذي تخلو فيه ايها الأستاذ للاشتغال بالعلم ولكن لا عجب اذا راينا الاهة الحكمة قائمة في مجدها وجلالها وعند قدميها فيلسوفاً مسناً جالساً يلتقط كلماتها بمنتهى الغبطة والسعادة

فقال هنري — عفواً ايها الملك فليس هنا الاهة الحكمة وانما هذه امراة حديثة السن بسيطة للغاية وهي ربيبة احد الصيادين في هذه الجهات

قال — نعم واسم مربّيها رونسار وقد كنا في ضيافته

منذ هنيهة وهو الذي قص علينا حديثها ولكن لم يخبرنا بانها ربيبتك ايضاً

فصبغ وجه الطبيب بلون القرمز وقال — لم يمكن ان اعرّف جلالتك بهذا الامر قبل الان

فقال له الملك بخشونة — ستخبرني بذلك في غير هذا المكان اما الان فعرّفني بتلميذتك

فدنا هنري من الحسناء وقال لها — ياغلوريا اعرّفك بجلالة الملك

فتبسمت غلوريا وقالت — اهلاً وسهلاً بالملك · ولم تزد

فنظر اليها روجر مستغرباً عدم تحيتها للملك وعدم حفاوتها به واظهار خضوعها له · اما الملك فلم يهتم بهذا بل دنا منها وقال بلطف اني مسرور جداً بمشاهدتك ايتها الحسناء وقد ساقتني التقادير الى هنا لاراكِ واحمد المبدع العظيم عَلَى تكوين مثل هذه الصورة البشرية البديعة

قالت — واي فائدة لك ايها الملك من رؤيتي ؟

قال ان كل انسان وكل ملك يريد ان يتمتع بمشاهدة مثل هذا الحسن · وماذا يقول زوجكِ اذا عرف اني قابلتك وتكلمت معك؟

قالت وقد ابرقت عيناها — لو كان زوجي هنا لاجابك بما يلزم لانه اقدر مني عَلَى الجواب الصريح

فذهل الملك وقال — لعاني اعرف زوجك. فاذا كان هو ممن يخدمون عندي فانا مستعد ان ارفع رتبتهُ وأنعم عليه بما تريدين. فاذكري لي اسمه لاعرفهُ

قالت — ان ذلك لا يمكنني لانه نهاني عن ذكر اسمه

فتراجع الملك خطوةً وهو في حالة الدهش والاستغراب وقد خامرته في هذه اللحظة ظنون كثيرة فقال — فاذاً انتِ لا تريدين ان تجاوبي مليككِ عَلَى كلامه اللطيف معكِ ؟

وكان في اثناء هذه المحادثة ان هنري دنا من روجر وصافحه صامتاً وهو ينظر اليه بعين الكدر. فلما سمع كلام الملك ضغط عَلَى يد صديقه وهمس لهُ : انها لن تبوح باسمه

اما ناورا فنظرت الى وجه الملك وقالت برباطة جأْش — انا لا أَعرف لاحدٍ سلطةً عليَّ الا لزوجي وقد أَقسمتُ لهُ امام الله عَلَى الخضوع لهُ في كل شيء فلن أحنث بقسمي

فارتعش الملك والتفت الى الطبيب وقال — اما انت ايها الاستاذ فلوجودك في خدمتنا ولمعرفتك ان ارادتنا يجب ان تكون شريعة لك فعليك ان تذكر لنا اسم زوج هذه المرأَة

فاصفرَّ وجه هنري وقال — انت تعلم ايها الملك امانتي لك وشدة تقيُّدي بطاعتك ولكني افضّل ان أُطرَد من خدمتك عَلَى ان اخون اصدقائي وابوح باسرارهم

فلما سمع الملك هذا الكلام استشاط غيظاً وقال — انت تظن ان اوامري مما يجوز ان يُستهان به فانا اقسم بالسماء انه لا بدلي من اكتشاف هذا السرّ

فضحكت غلوريا وقالت له — فاذاً انت كباقي الناس تغضب وتضطرب مع ان الامر بسيط للغاية وليس فيه من اسرار كما تزعم فانا امرأة فقيرة وزوجة نوتي فقير موجود في خدمة ولي عهدك علي يخته وهو لا يريد ان يعلم سيده بانه متزوّج لئلا يغضب عليه سيده ويطرده من خدمته . فهل يجوز ان تحتدم وتستشيط غيظاً لمثل هذا الامر البسيط

فنظر اليها الملك وقد سكن جأشه قليلاً ثم قال — انا لا اكلّفك على عصيان زوجك ولكن ليس لزوجك ان يخشى الطرد من الخدمة اذا عُرف انه متزوّج فاذا ذكرت لي اسمه فانا اعدك بان اغمره بالنعم . او لا تثقين بي ؟

فدنت غلوريا منه واخذت يده فقبلتها وقالت كلا لا أوثق بك واعلم اني أُقبل يد ملك هذه البلاد ولكنني منقادة لملكي الخاص . ولما قالت هذا قفزت من المغارة وجعلت تعدو كالنعام الجافل وتوارت عن الابصار وهي تنشد بصوتها الرخيم فوقف الملك جامداً كانه تمثال من مرمر وقد تضاربت الشكوك والظنون في دماغه فلم يدر كيف يؤوّل كل هذا